الدرس 9: نظرية الحقول الدلالية

تمهيد

يرى بعض العلماء أن هذه النظرية لم تتبلوَر إلا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين على أيدي علماء سويسريين وألمان، وكان من أهم تطبيقاتها المبكرة دراسة Trierللألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة[1]، في حين أننا "لا يُمكن لنا التسليم بذلك، ونحن نجد تراثنا العربي ينطوي على جهود علمية مرموقة تصُب في صُلب الحقول الدلالية، وقد تمثل ذلك فيما تمثَّل في كتب المعاني والصفات، والتي رأَسَها كتابُ أبي عبيد القاسم بن سلام ت224هـ)الغريب المصنف(، وكتاب)الألفاظ (لابن السكيت، و)أدب الكاتب (لابن قتيبة ت 267هـ، و)الألفاظ الكتابية (للهمذاني")2، وغيرها من المصنفات خصوصًا (المخصص)لابن سيده الذي يُعد من أكثر المؤلفات العربية التي تبلورت فيها فكرة الحقول، ومثَّلتها تطبيقيًّا.

أوّلا- مفهوم الحقول الدلالية

عرّف أحمد مختار عمر الحقل الدلالي في قوله "الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها. مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. فهي تقع ضمن المصطلح العام "لون" وتضم ألفاظا مثل: أحمر-أزرق-أصفر-أخضر-أبيض ... "[3]

وبالإضافة إلى هذا، يشير إلى أن فهم كلمة ما يتطلب فهم مجموع الكلمات المرتبطة بها دلاليا، أو دراسة العلاقات الرابطة بين هذه المفردات داخل الحقل أو ما يتصل به من مواضيع فرعية وعليه فهو: محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي.

يستفاد من التعريف أن الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو قائمة من الألفاظ، التي اشتركت في المعنى نفسه، حتى شكلت حقلا دلاليا واحدا.

ثانيا-الحقول الدلالية في التراث العربي

تراثنا العربي يزخر بالمواد العلمية التي تقع في صلب مضمون نظرية الحقول الدلالية وأهمها ما يلي:

الكتب التي يطلق عليها كتب المعاني، ومنها كتاب (**الألفاظ**) لابن السكيت، وكتاب (**أدب الكاتب**)لابن قتيبة. (**المخصص**) لابن سيده، هو من أضخم الكتب في هذا المجال ويشتمل على 17 مجلدًا، ينقسم كل مجلد منها لكتب، وكل كتاب لأبواب صغيرة، بالكلمات التي تتصل ببعضها دلاليًّا توضع في باب واحد،

مثل باب الحمل والولادة وباب خلق الإنسان وباب الغذاء وغيرها. كتاب **فقه اللغة وسر العربية للثعالبي** هو خير مثال على فكرة الحقول الدلالية في التراث العربي، فقد صنف الكلمات وفق حقول محددة متعلقة بالإنسان، والحيوان، والنبات، وموجودات الطبيعة، والصفات، والطبائع، والمشاعر، وغيرها.

وعليه فالعرب ابتدعوا فكرة الحقول تطبيقًا وممارسة؛ فكانت معرفتهم لها انطلاقًا من اللّغة نفسها؛ إذ صنّفوا الألفاظ منذ العصر الجاهلي إلى عصر الإسلام؛ فنجد عندهم تصنيفات عديدة للألفاظ من حيث إنّها موجودات؛ فالتّقسيم للوجود إلى ما يدلّ على الحسّ، وما هو مغيّب عنه؛ إذ نجد ألفاظًا تدلّ على **الوجود، والعدم، والدّهر، والأبد، والأزل، والمكان، والزّمان**... ومنها ما يدلّ على أنواع من الموجودات **من النّبات، والحيوان كالإنسان، والسّباع، والطّيور، والحشرات...** ومنها ما يدلّ على الأخلاق، **والمشاعر كالمحاسن، والمساوئ، والفرح، والحزن**...، ومنها في اللّباس، **والطّعام، والمعدنيّات، والأنواء، والسّحاب، والبئر**... وغيرها من التّصنيفات الّتي تدعونا للدّهشة، والإعجاب بالمستوى الفكري عند العقليّة العربيّة التّصنيفيّة الّتي وصلوا إليها في بواكير حياتهم؛ فقد وجدنا الكلّيات، ومعاجم الموضوعات، ومنها نذكر **موضوعات: الحيوان، والحشرات، والخيل، وخلق الإنسان** الّتي شغلت العلماء المفسّرون منهم، واللّغويّون؛ إذ إنّ هذه الموضوعات تناولها القرآن الكريم فكانت محلّ اهتمامهم؛ ثمّ ألّفوا فيها ما استطاعوا وصولًا إلى بلوغ الغاية منها...

ثالثا- الحقول الدلالية عند الغرب

يعدّ اللّساني الألماني أبسن أوّل من استعمل مصطلح الحقل الدّلالي عام 1924 عندما حاول أن يصنّف مجموعة من الكلمات الّتي تشكّل معًا معنىً واحدًا؛ تلك الكلمات الّتي تتّصل بالأغنام وتربيتها في اللّغات الهندو-أوروبّيّة، وإن كانت هذه الكلمات لا تنتمي إلى بعضها بعضًا اشتقاقيًّا؛ إنّما ترتبط بعلاقات دلاليّة فيما بينها. وقد قام غيره من اللّسانيّين الألمان بمحاولات أخرى لتصنيف الكلمات ذات الدّلالات المتقاربة، ومن أهمّ هذه المحاولات ما قام به تريير Trier في كتابه عام 1934؛ إذ دعا إلى وجوب دراسة الكلمات في قطاعات كاملة، وقد أعطى نتائج ممتازة مع تلاميذه من خلال تصوّره لفكرة الحقل على أساس المجال الذّهني الّذي ينقسم إلى أجزاء. ومن مبادئ الحقل الدّلالي أن الوحدة المعجميّة لا تشترك في أكثر من حقل، كلّ وحدة معجميّة هي منتمية إلى حقل معيّن، ترتبط الوحدة المعجميّة بالسّياق ارتباطًا وثيقًا، ولا يمكن أن تكون بمعزل عن التّركيب النّحوي؛ فالكلمات تكتسب معانيها من خلال علاقاتها بالكلمات الأخرى، وقربها إليها في إطار المجموعة الواحدة، أو المجموعات المتماسّة معها، فليس "في الذّهن كلمة واحدة منعزلة؛ فالذّهن يميل دائمًا إلى تجميع الكلمات إلى اكتشاف عرى جديدة

تجمع بينها، والكلمات تتشبّث دائمًا بعائلة لغويّة بواسطة دالّ المعنى، أو دوالّ النّسبة الّتي تميّزها، أو بواسطة الأصوات اللّغويّة الّتي تتركّب منها لا أكثر من ذلك".

رابعا-كيفية استخراج الحقول الدلالية

يتم استخراج الحقول الدلالية وفقاً على العلاقات الدالية، إذ تتمثل العلاقات الدلالية في: [4]

-الترادف :إذ يجب أن يستخرج من القطعة النحوية كلمتين أو أكثر بنفس المعنى، مثل قول المهند والحسام، والليث والأسد.ولكن يشترط أن يكون الترادف ينطبق عليه: اتحاد العصر والزمن

- يجب أن لا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي أخر، مثل الجثل والجفل.
- ضرورة الاتفاق بين معنى الكلمتين المترادفتين أو الكلمات المترادفة اتفاقا تاما.
- الاتحاد في البيئة اللغوية.

-التضاد :حيث يستخرج من الجملة الكلمة وعكسها كالأبيض والأسود، أو الطويل والقصير، أو الأدنى والأقصى.

-الاشتمال :وهي علاقة تشبه الترادف ولكن من جانب واحد أي أن مثلاً أ يشتمل على ب ويكون ب أعلى في التقسيم أو التفريع مثال، الإنسان وأحمد، فأحمد هو إنسان، أو اللون وأحمر فالأحمر هو أحد الألوان، أو الحيوان والأسد، فالأسد نوع من أنواع الحيوانات.

-علاقة الجزء بالكل :والمقصود به جزء من الكل، كاليد بالجسد، والعجلة بالسيارة ولكن يجب عدم الخلط بين علاقة الجزء بالكل وعلاقة الاشتمال، إذ أن في علاقة الجزء الكل اليد ليس نوع من أنواع الجسم بل جزء منه، فالاشتمال نوع، بينما الجزء من الكل قطعة من الكل.

-التنافر :هذه العلاقة مرتبطة بالنفس مثل التضاد، وتتحقق علاقة داخل الحقل الواحد، بمعنى إذا كانت أ لا يدل على ب وب لا يشتمل على أ، أي أن الطرفين لا يشتملوا على علاقة بينهم، وذلك في مثل العلاقة بين الخروف والفرس، والعلاقة بين الكلب وقط ويدخل تحت هذه العلاقة الرتب العسكرية مثل الملازم والرائد والعقيد وغيرها.

تطبيق: نظرية الحقول الدلالية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السيّاب

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ ،

أو شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا القَمَرْ.

عيْنَاكِ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الكُرُومْ

وَتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ...كَالأَقْمَارِ في نَهَرْ

يَرُجُّهُ المِجْدَافُ وَهْنَاً سَاعَةَ السَّحَرْ

كَأَنَّمَا تَنْبُضُ في غَوْرَيْهِمَا ، النُّجُومْ...

وَتَغْرَقَانِ في ضَبَابٍ مِنْ أَسَىً شَفِيفْ

كَالبَحْرِ سَرَّحَ اليَدَيْنِ فَوْقَـهُ المَسَاء ،

دِفـءُ الشِّتَاءِ فِيـهِ وَارْتِعَاشَةُ الخَرِيف ،

وَالمَوْتُ ، وَالميلادُ ، والظلامُ ، وَالضِّيَاء ؛

فَتَسْتَفِيق مِلء رُوحِي ، رَعْشَةُ البُكَاء

كنشوةِ الطفلِ إذا خَافَ مِنَ القَمَر!

كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تَشْرَبُ الغُيُومْ

وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذُوبُ في المَطَر...

وَكَرْكَرَ الأَطْفَالُ في عَرَائِشِ الكُرُوم ،

وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصَافِيرِ عَلَى الشَّجَر

أُنْشُودَةُ المَطَر ...

مَطَر ...

مَطَر...

مَطَر...

تَثَاءَبَ الْمَسَاءُ ، وَالغُيُومُ مَا تَزَال

تَسِحُّ مَا تَسِحّ من دُمُوعِهَا الثِّقَالْ .

كَأَنَّ طِفَلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أنْ يَنَام :

بِأنَّ أمَّـهُ - التي أَفَاقَ مُنْذُ عَامْ

فَلَمْ يَجِدْهَا ، ثُمَّ حِينَ لَجَّ في السُّؤَال

قَالوا لَهُ : " بَعْدَ غَدٍ تَعُودْ .. " -

لا بدَّ أنْ تَعُودْ

وَإنْ تَهَامَسَ الرِّفَاقُ أنَّـها هُنَاكْ

في جَانِبِ التَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّحُودْ

تَسفُّ مِنْ تُرَابِـهَا وَتَشْرَبُ المَطَر ؛

كَأنَّ صَيَّادَاً حَزِينَاً يَجْمَعُ الشِّبَاك

وَيَنْثُرُ الغِنَاءَ حَيْثُ يَأْفلُ القَمَرْ .

مَطَر ...

مَطَر ...

أ- حقل أعضاء الإنسان: إذ استعملت الألفاظ الدلالة على الإنسان وأعضائه من مثل: العين، اليدين، فم...الخ.

ب- حقل الظلام: السواد، السحر، الخوف، المساء، النوم، الحزن، الضياع، الوحدة، الليل، الرحيل...الخ.

إن الكلمات التي تدخل ضمن حقل الظلام، يمكنها أن تكون حقلا دلاليا داخل القصيدة؛ فالحزن مثلا يحضر كحقل واحد داخل القصيدة: الأسى، الموت، البكاء، اللحود...الخ.

-العلاقات بين ألفاظ حقل الحزن:

-1الترادف: الأرق، الغرق، الخوف، الصمت، الدموع، البكاء.

-2الاشتمال:

شامل الحزن البكاء الموت الليل

مشمول الأسى الدموع اللحود الظلام

-3علاقة الجزء بالكل:

الدموع تدل على البكاء.

البكاء يدل على الحزن.

ج- حقل النور: النهار، القمار، النجوم، الضياء، الشروق...الخ.

-علاقة تدرج: الشروق، الضياء، النهار.

د- حقل الموت: اللحود، الموتى، الردى، البكاء، الروح.

ه- حقل الإنسان: الأطفال، البشر، العبيد، الرجال.

-علاقة اشتمال:

الشامل البشر

المشمول العبيد الرجال

و- حقل الطبيعة: الغابة، النخيل، الشتاء، الخريف، العصافير، الشجر، المياه، البحر، السهول، الجبال...

-علاقة اشتمال:

الشامل: الغابة

المشمول: النخيل، الشجر.

-**علاقة تضاد**، السبب والمسبب: سحاب/مطر...الخ.

- حقل السماء: القمر، النجوم، الضباب، الغيوم، السحاب، البرق، الرعد...الخ.

-**علاقة ترادف**: الضباب: الغيوم، السحب.

الهوامش

1) علم الدلالة ،أحمد مختار عمر، ط 5،عالم الكتب، القاهرة،9 199، ص:82 بتصرف.
2) علم اللغة التطبيقي في التراث العربي ، هادي نهر، ط1،دار الأمل للنشر والتوزيع ،الأردن، 2007م.ص:566.
3) المرجع السابق، ص: 89.
4) المرجع نفسه، ص:108.